بلاغة الحوار في الأحاديث القُـدسِيَّة

إعداد

سـماء عـبد العـزيز حسن خضر

طالبة ماجستير ، جامعة عين شمس ، كليّة الآداب ، قسم اللغة العربية

إشراف

أ. د. حسن أحمد البنداري أستاذ البلاغة والنّقد الأدبيّ في كلية البنات بجامعة عين شمس

د. آلاء عـبد الغفّار هلال مدرّس البلاغة والنّقد الأدبيّ في كلية البنات بجامعة عين شمس

ملـــــخـــــص البـــــحث

يتناول هذا البحث (**بلاغة الحوار في الأحاديث القدسيّة**) ، فظاهرة الحوار في الأحاديث القدسيّة ظاهرة جليّة ، ولها صور متعددة ، ومتنوّعة تنوّعًا شائِقًا ، وهي تتنوّع بالنّظر إلى الأطراف المتحاورين في كل مشهد حواريّ ؛ حيث نجد طائفة من الأحاديث يتحاور فيها الله – عز وجلّ – مع أحد الملائكة ، وطائفة أخرى يتحاور فيها الله – عزوجلّ – مع أحد الأنبياء ، وثالثة يتحاور فيها الله – عزوجلّ – مع غير العاقل - ، ورابعة يتحاور فيها الله – عز وجل – مع أحد عباده من غير الأنبياء والرّسل ، والبحث يسلّط الضوء على الأخيرة مما سبق ، وبعد استقراء الأحاديث القدسيّة الحواريّة التي يتحاور فيها الله – عزوجلّ – مع أحد عباده من غير الرّسل ، وجدتُ أن هذه الصورة الحوارية تتفرّع إلى اثني عشر نموذجًا ، ذُكِرتْ في البحث ، وأُختير أحدها للتحليل وهي صورة حوار الله – عز وجلّ – مع آخر أهل النّار خروجًا منها ، وقد ظهر في هذا النموذج العديد من الظواهر البلاغيّة التي تآزرت مع عناصر أخرى قصصيّة أبرزها الحوار ؛ ليخرج لنا في ثوبه الرّائع الذي نراه في الحديث .

المُـــــــــقَـــــــدِّمَـــــــــة

بين يدي الحوار:

الحوار هو وسيلة الإنسان وآليته في مواجهة قضية أزليّة هي قضيّة الاختلاف والتعدديّة بين البشر من حيث أجناسهم ولغاتهم .

وقد جعل **الله – تعالى -** لنا وسيلة التغلب على هذا الاختلاف هي الحوار رغم أنه قادر على عدم خلق هذه التعدديّة ، قال الله **– تعالى-** : **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَـــلَكُمْ أُمَّةً وَاحِـدَةً)**[١] ، وبالحوار بدأت الخليقة حينما دار أول حوار- علمنا به – بين الله **– تعالى-** وملائكته ؛ ليعلن لهم عن مشيئته في أن يكون له خليفة في الأرض ، وقد تضمّنته الرسالات السماويّة التي دعت إلى التّحاور مع العقل البشريّ في المقام الأول قبل أي تكليف.

ومن المؤكد أنّ دنيانا إذا كانت خالية منه ستتحول إلى غابة ليس فيها أيّ سموّ فكريّ ؛ لأن البديل الوحيد له هو لغة العنف التي قد تؤدي بنا إلى نهاية الحياة ، وهذا ضد إرادة الخالق ، ومن ذلك يتضح لنا أننا لسنا في خيار في استخدامه بل نحن مأمورون به ، مُجبَرون عليه ، قال الله **– تعالى-** : **(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ)**[٢]، وقال:**(وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُــوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**[٣]، ومن آية الحجرات يتضح لنا أن الله خلق لنا الحوار لتحقيق كلمة (لتعارفوا) فكيف سيكون التعارف والتقارب بدون حوار؟!

---

(١) سورة النحل: آية ٩٣.
(٢) سورة المائدة : آية ٤٨ .
(٣) سورة الحجرات : آية١٣.

التّـــمـــهـــيد

" بلاغة الحوار في الأحاديث القدسيّة " ، هذا عنوان البحث ، وفي هذا العنوان ثلاثة عناصر كاشفة عن جوهر الموضوع ، وثيقة الصلة به ، وهي (**بلاغة ، وحوار ، وأحـــاديث قـــدسية**) ، ويجدر بي أن أقف أمام كل عنصر منها ، وألقي الضوء على مفهومه ، والمراد منه ، قبل الدّخول في صلب البحث .

أمّا **(بلاغة)** : فالحديث عنها كثير في القديم والحديث من ناحيتي اللغة والاصـــطلاح ، فالأصل اللغوي لهذه الكلمة في المعاجم يدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته.

يقال: بلغ الشيء بلوغًا ، وبلاغًا بمعنى وصل وانتهى، والباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء ، وسُمّيَت البلاغة بلاغة لأن المتكلم يبلغ بها ما يريد، وبلاغة مصدر بَلُغَ ، وبلُغ يبلُغ فهو بليغ ، وبلُغ الكاتب صار فصيحًا وحَسُنَ بيانه، وحَسُن عنده تركيب الكلام ، والبلاغة : الفصاحة [٤].

وقد كانت البلاغة والفصاحة وغيرهما من الكلمات مثل براعة وبديع ومعانٍ.....إلخ ترد بمعنى واحد عند السابقين من علماء البلاغة ، وهو وصف الكلام بحسن الدّلالة ، ولعل أبرز ما يمثلهم في ذلك الإمام عبد القاهر الجرجاني.

وعند المتأخرين من علماء البلاغة حدث التفريق بين مدلول هذه الكلمات في ظل وضع المصطلحات العلمية الدقيقة من لدن السكاكي حتى اليوم فصارت البلاغة غير الفصاحة ، ووضعوا للبلاغة تعريفين بالنظر إلى ما تقع وصفا له وهما الكلام أو المتكلم؛ إذ يقال: كلام بليغ ، ومتكلم بليغ، فبلاغة الكلام اصطلاحًا « مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال ، وبلاغة المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ »[٥].

---

١ - انظر المعاجم الآتية ، مادة **(بلغ)** :

- ابن منظور، **" لسان العرب "** ، تحقيق : عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلي . القاهرة ، ط دار المعارف .
- أحمد بن فارس ، **" مقاييس اللغة "** ، تحقيق : عبد السّلام محمد هارون ، طبع ونشر: مكتب الإعلام الإسلاميّ.
- د. أحمد مختار عمر **" معجم اللغة العربية المعاصرة "** ، ط : عالم الكتب .
- لجنة من مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوسيط** ، طبعة : مكتبة الشروق الدّوليّة .
- الجوهري ، **الصّحاح في اللغة ، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلم للملايين ، ط٣ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .**

٢- الخطيب القزويني ،**" الإيضاح في علوم البلاغة "** ، القاهرة ، نشر : المكتبة الأزهريّة للتّراث ، ج١ ، ص٣ بتصرف يسير.

في العصر الحديث ترددت بعض التعريفات للبلاغة لا تخرج في مضمونها العام عن هذا المدلول الدقيق الذي وضعه المتأخرون من علماء البلاغة والذي يلخص بدقة مفهوم النظم الذي جعله عبد القاهر الجرجاني مناط الإعجاز البلاغيّ .

من هذه التعريفات: « تأدية المعنى الجليل واضحًا بعبارة صحيحة فصيحة ، لها في النفس أثر خلّاب ، مع ملاءمة كلّ الكلام للموطن الذي يُقال فيه ، والأشخاص الذين يُخاطبون»[٦].

ومنها: « أنها البحث عن فنيّة القول ، وإذا ما كان الفن هو التعبير عن الإحساس بالجمال ؛ فالأدب هو القول المعبر عن الإحساس بالجمال ، والبلاغة هي البحث في كيف يعبر القول عن هذا الإحساس»[٧].

ويعرفها بعض التربويين بأنها : « مجموعة الأسس الجماليّة التي يستعان بها في حكم على قيمة عمل أدبيّ معيّن» [٨].

وأختتم هذا العرض بالتعليق الجيد للعلامة ابن الأثير في (المثل السائر) الذي ركز فيه على الجانب الوظيفيّ للبلاغة ؛ حيث قال:« مدار البلاغة كلها في استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم ؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة ، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مُسْتجلَبة لبلوغ غرض المخاطِب بها ... »[٩] ، فمجال البلاغة ليس لذات الجمال في معانيها فحسب – كما هو ظاهر من التعريفات الأخرى – وإنما جمالها في توظيفها لبلوغ أغراض عند المخاطِب كما ذكـرتُ سالفًا.

وأمّا **الحوار** - العنصر الثاني من عناصر العنوان- فمفهومه يتضح في الآتي **لغةً، واصطلاحًا** :

أ - الحوار ، لغةً :

١- على الجارم ، و مصطفى أمين " **البلاغة الواضحة** " ، القاهرة ، ط دار المعارف ، ص٨ .

٢- أمين الخولي ، " **فن القول** " ، القاهرة ، مطبعة : دار الكتب المصريّة ، ١٩٩٦ م ، ص ٢٣١ .

٣- رشدي طعيمة ، و محمد السيد منّاع " **تعليم العربية والدين بين العلم والفن** " ، نشر : دار الفكر العربي للطبع والنشر، تاريخ النشر ٢٠٠١ ، ص ٢٠ .

٤- ابن الأثير، " **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** " ، تحقيق : محمّد محيي الدين عبد الحميد ، بيروت ، ط المكتبة العصرية ، ج٢ ، ص٢٤ .

تدور مادة (ح و ر) – بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية – حول معاني الرجوع ، والتردد ، والتجاوب بين الأشخاص مثل : « حاورته : راجعته الكـــــلام ، وهو حسن الحِوار»[١٠] و«أصل المادة : حار بمعنى رجع»[١١] ، و«الحَوْر الرجوع عن الشيء»[١٢] و«أحار عليه جوابه : ردّه ، والتّحاور: التّجاوب » ، و« الحور: التّردّد إمّا بالذات وإمّا بالفكر، وقوله عز وجل : (**إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ**) [١٣] أي: لن يُبعث ولن يرجع ، وحار الماء في الغدير: تردّد فيه ، وحار في أمره : تحيّر منه ، وقوله نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر، أي: من التردّد في الأمر بعد المُضِيّ فيه، أومن نُقصان وتردّد في الحال بعد الزيادة فيها»[١٤].

واستعملت مادة (حور) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة [١٥] ثلاث منها فقط بصيغ تدور حول الرد والمراجعة في الكلام ، ومنها قوله سبحانه وتعالى (**وَتَشْتَكِي إلى الله وَالله يَسْمَعُ تحاوُرَكما**)[١٦]، أمّا عن استعمالها في الحديث النبوي الشريف ، والحديث القدسيّ ؛ فرغم المساحة الواسعة للحوار في الأحاديث النبوية ، والأحاديث القدسية ، فإنّ مادة (حور) بمعنى الحوار والمحاورة لم ترد إلا مرة واحدة [١٧] في جملة سابقة لمتن حديث نبوي ؛ هي قوله :(كانت بين أبي بكر وعمر محاورة...)[١٨]، ولم ترد هذه المادة في متن حديث نبويّ ، ولا في متن حديث قدسيّ[١٩].

١٠- الزمخشريّ ، " **أساس البلاغة** " ، تحقيق : الأستاذ عبد الرّحيم محمود ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنّشر ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢ م ، ص ٩٨.

١١- **الصّحاح في اللغة** ، (مادة حور) .

١٢- " **لسان العرب** " ، (مادة حور) .

١٣- سورة **الانشقاق** ، آية ١٤.

١٤- أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب **الأصفـــهاني** ، " **المـفردات في غريب القرآن** " ، تحقيق: محمّد سيّد كيلاني ، مطبعة : مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر ، مادة حور ، ص ١٣٤،

١٥- محمد فؤاد عبد الباقي ، " **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** " ، **القاهرة** ، **مطبعة دار الكتب المصريّة** ، مادة (حور) ص ٢٢٠ .

١٦- سورة المجادلة ، آية ١.

١٧- د. أ. ي. وِنْسِنْك (أستاذ العربية بجامعة لَيْدَن) ، " **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ الشريف** " ، **المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي** ، الناشر : مكتبة بريل ، سنة النشر: ١٩٣٦م ، ج١، مادة : حور ، ص ٥٢٦ .

١٨- جزء من الحديث (عن أبي الدرداء قال: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمرَ، فانصرف عنه عمر مُغْضَبًا، فاتَّبَعَهُ أبو بكر يسألُه أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه.....) رواه البخاري.

١٩- محمد الزميتي ، " **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث القدسي** " ، مُعدّه : (المدير العام لقسم المعاجم وإحياء التراث – مجمع اللغة العربية – القاهرة) ، المعجم ملحق بمجلة " **المنهل** " العدد ٤٨٤ المجلد ٥٢ ربيع الآخر وجمادى الأولى – ١٤١١هـ – أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٠م .

وقد اعتمد الكاتب في إعداد هذا المعجم على كتاب «**الأحاديث القدسية**» الذي أصدرته لجنة القرآن والسنة التابعة للمجلس الأعلى للشون الإسلامية ، الذي أعتمد عليه في هذه الدراسة .

وكما ذُكر سابقًا ، أصل مادة حور بمعنى رجع ؛ أي أن زيادة الألف نقلت الفعل من استعمال مطلق إلى استعمال مقّيد؛ أي من مطلق الرد والرجوع إلى الرّد والرّجوع في الكلام خصوصًا.

ب - الحوار ، اصطلاحًا :

وردت للحوار تعريفات كثيرة متقاربة في المعنى وردت في كتب الدارسين، والباحثين أختار منها ما يقترب وطبيعة **البيان القدسيّ** ، ومما ذُكر تعريفًا للحوار اصطلاحًا أنّـــه : « **كل حديث يدور بين طرفين ، أو أكثر بحيث تتحقق حركة المراجعة بالرد بينهما، وعدم سكوت أحد الطرفين**» [٢٠].

وهو " **حديث بين طرفين أو أكثر حول قضية معينة ، الهدف منه الوصول إلى الحقيقة ، بعيداً عن الخـــصومة ، والتعصب بل بطريقة علمية إقناعية ، ولا يُشترط فيها الحصول على نتائج فورية** " [٢١] ، وهو « **أدب تجاذب الحديث بشكل عام** »[٢٢].

وأمّا **الأحاديث القدسيّة** - العنصر الثالث من عناصر عنوان البحث – فالحديث عنه في شِقـــَّين:

١. **الأحاديث :**

أ - لغةً : هو الجديد من الأشياء ، وهو الخبر يأتي على القليل والكثير، ويطلق على ما يحدّث به المحدّث تحديثًا، وجمع حديث أحاديث ، وهو شاذّ على غير قياس ، وقالوا في جمعه حِدْثَانٌ وحُدْثَانٌ وهو قليل[٢٣].

وممّا ورد أيضًا في تعريفات **الحديث** أنّه (كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السّمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديثٌ)[٢٤].

ويُلاحظ أن هذا المعجم قد دَوّن فقط الألفاظ التي في حاجة إلى شرح وتفسير؛ وقد وجدتُ أنّ مُعِدَّ المعجم لا يرى أن لفظ «حور» من الألفاظ التي تحتاج إلى شرح ، ولهذا ؛ فقد أعدت ُ البحث في متون الأحاديث القدسية عن مادة «حور» بمعنى المراجعة في القول، فوجدتُ أنها لم ترد.

[٢٠]– د. محمود السيد محمد أبو شلبي ، " **أسلوب الحوار في صحيح الإمام مسلم** " دراسة بلاغية ، رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر، إشراف : أ . د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ، ١٩٩٨ م /١٤١٨ هـ ، ص ٢٠

[٢١] – خالد بن محمد المغامسي ، " **الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية** " ، ط ١ ، الرياض ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ، ١٤٢٥هـ ، ص ٣٢ .

[٢٢]– د. أحمد شحروري ، مقال بعنوان : " **كيف نرسخ أدب الحوار والنقد ؟** " ، (الكويت : مجلة المجتمع ، العدد ١٦٣٤) ص ٤٨.

[٢٣] – **لسان العرب** ، مادة (ح د ث) .

[٢٤] – " **المـفردات في غريب القرآن** " ، مادة ح د ث ، ص ١١٠ .

ب- **اصطلاحًا** : فالحديث عند **علماء السنّة** : هو مايضاف إلى النبي **– صلى الله عليه وسلم-** من قول أو فعل أو تقرير، وكأنّ تسميته بالحديث - بمعنى الجديد - مقابلة له بالقرآن ؛ لأنه قديم.

٢. القدسيّة :

أ - لغةً : « القُدُس والقُدْس بضم الدال وسكونها اسم ومصدر، والتقديس هو التطهير والتبريك، ومنه بيت المقدس أي البيت المطهّر أي المكان الذي يـتَطَهّر فيه من الذنوب ، والقدس البركة ، والأرض المقدّسة : الأرض المطهّرة» [٢٥]

ب - **اصطلاحًا :** فالحديث القدسيّ في اصطلاح **علماء السنة** : « ما يرويه صدر الرواة ، ومصدر الثقات عليه أفضل الصلوات ، وأكمل التحيّات عن الله - **تبارك وتعالى** - ، تارة بواسطة جبريل -**عليه السلام** - ، وتارة بالوحي ، أو بالإلهام ، أو بالمنام، مفوّض إليه التعبير بأيّ عبارة شاء من أنواع الكلام»[٢٦].

وقد سمّي **بالحديث القدسيّ** لما في معنى القدس من الطهر والتّنزيه ، ومن أسماء الله الحسنى (القدّوس) فكأنما أريد من وصفها بالقدسية إبراز قيمتها المكتسبة من إضافتها إلى القدوس - جل وعلا - للدلالة على هذا الشرف الذي تختص به من بين سائر الأحاديث ، وتسمّى بالأحاديث **القدسية** ، والأحاديث **الإلهية** ، والأحاديث **الربّانيّة**.

وبعد استقراء نصوص **الأحاديث القدسيّة الحواريّة** وجدتُ أنّ الأحاديث القدسيّة التي تعتمد على **طرفين** في الحوار **أحدهما الله – سبحانه وتعالى** – تتفرع إلى صور عديدة **([٢٧])** تبعًا لاختلاف الطرف الثاني المشترك في الحوار مع الله – **عزّ وجلّ** – ، **وسأتناول في الصّفحات الآتية من بين تلك الصور المتعددة صورةَ الحوار بين الله - عز وجل – و أحد عباده .**

وقد ورد لهذه الصورة اثناعشر نموذجًا حواريًّا ، والشخصيّات التي تحاورت في هذه النماذج مع الله **– عز وجلّ –** لم تذكر أسماؤها في نصوص الأحاديث القدسية ، وقد وردت هذه النّماذج كالآتي :

---

[٢٥] – **لسان العرب** ، مادة (ق د س).

[٢٦] – قول «علي القاري» عليه رحمة الباري ، نقله عنه الشيخ « محمد منير الدمشقيّ الأزهريّ » في كتاب « **النفحات السلفيّة بشرح الأحاديث القدسيّة** » ، بيروت ، مؤسسة الزغبي ، ١٩٧٨ م ، ص .

[٢٧] - وهذه الصور كالآتي :

أولًا – حوار بين الله – عز وجل – و أحد الملائكة .

ثانيًا – حوار بين الله – عز وجل – وأحد الأنبياء .

ثالثًا – حوار بين الله – عز وجل – و أحد العباد .

رابعًا – حوار بين الله – عز وجل – وغير العاقل .

١. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – وصاحب بطاقة كُتِبَ فيها الشّهادة **([٢٨]) .**
٢. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – ومَن طلب أن يُحرقَ جسدُه بعد موته **([٢٩]).**
٣. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – و واحد من أهل الجنّة مات شهيدًا **([٣٠]).**

٤. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – وعبدٍ مقتول أتى بمن قتله ليشكوَ إلى الله .([٣١])
٥. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – و رجل رُفِعَت درجته في الجنّة باستغفار ولده .([٣٢])
٦. حوار بين الله – **عزّ وجلّ -** وعبد أذنب ، ثمّ تاب ، ثمّ أذنب ، ثمّ تاب . **([٣٣])**
٧. حوار بين الله – **عزّ وجلّ -** وابن آدم الذي يعاتبه الله – **عز وجلّ** – بسبب أنّه لم يَعُدِ اللهَ ، ولم يُطعمْه ، ولم يسقِه . **([٣٤])**
٨. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – وآخر مَن دخلوا الجنّة . **([٣٥])**
٩. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – وعبد لقيَ ربّه في مشهد الحساب . **([٣٦])**
١٠. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – و أهْوَن أهلِ النّار عذابًا يوم القيامة . **([٣٧])**
١١. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – و رجل استأذن ربّه أن يزرع في الجنّة . **([٣٨])**
١٢. حوار بين الله – **عزّ وجلّ** – و رجلٌ ممّن دخلوا الجنّة .**([٣٩])**

وسأختار مما سبق الشخصيّةَ الثّامنة ([٤٠]) لتمثّل لصورة حوار الله – عز وجلّ – مع أحد عباده من غير الأنبياء والرّسل :

---

[٢٨] – لجنة من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف ، " **الأحاديث القدسيّة** " ، ط ٤، القاهرة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ج١ ، ح رقم ٧ ، ص ٢٤ .
[٢٩] – **السابق** ، ج١ ، ح رقم ٨٣ ، ص٨٧ .
[٣٠] – **السابق، ج١** ، ح رقم ١٨٨ ، ص٢٠٠ .
[٣١] –" **الأحاديث القدسيّة** " ، ج ١ ، ح رقم ١٩١ ، ص ٢٠٢ .
[٣٢] - **السابق** ، ج١ ، ح رقم ٢٠٩، ص٢١٧ .
[٣٣] - **السابق** ، ج١ ، ح رقم ٢٢٩، ص٢٣٢ .
[٣٤] - **السابق** ، ج١ ، ح رقم ٢٦٥، ص٢٦٣ .
[٣٥] - **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٤٦ ، ص ٣٩٩ .
وفي **رواية أخرى** ، بداية من قوله : " أي ربّ ، اصرف وجهي عن النّار " ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٧٨ ، وفي **رواية ثالثة** : ج٢ ، ح رقم ٣٤٤، ص ٣٩٦ .
[٣٦] - **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ص ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ .
[٣٧] - **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٦٤ ، ٣٦٥ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .
[٣٨] - **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٩٨ ، ص ٤٦٨ .
[٣٩] - **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٩٩ ، ص٤٧٠.
[٤٠] - تم الترتيب حسب ورود الروايات في المصدر ؛ وقد اخترتُ هذا النموذج لاتساع مساحة الحوار فيه .

عَنْ أَنَسٍ ، عَنْ ابْن مَسْعُودٍ – **رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا** – أَنْ رَسُولَ اللهِ – **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** – قَالَ: " **آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو**(٤١) **مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ** (٤٢) **النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ منْ مَائهَا، فَيَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : يَا بْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ – تَعَالَى – يَعْذُرُهُ ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه، فَيُدْنيهِ منْهَا فَيَسْتَظلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ منْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، هِىَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ فَيَقُولُ : لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا ، وَرَبُّهُ– تَعَالَى – يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا ، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَاب الْجَنَّةِ ، هِىَ أَحْسَنُ مِنْ الْأُولَيِيْن ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ الشَّجَرَةِ ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا بْنَ آدَمَ، أَ لَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ منْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ منْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ : يَا بْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي منْكَ** (٤٣) **؟ أَ يُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ ، أَ تَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَ أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُود – رضى الله عنه – فقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ ؟ قَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ ؟ قَالَ : هكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، فَقَالُوا : مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حِينَ قَالَ : " أَ تَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَ أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟ " فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئ مِنْكَ ، وَلكِنِّي عَلى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ "** (٤٤).

هذا الحديث نموذج لصورة الحوار الذي دار بين الله **– عزّ وجلّ -** ، وأحد عباده – من غير الرّسل والأنبياء - دون ذكر اسم العبد المخاطَب ، وذلك للتركيز وتسليط الضوء على الوصف الدقيق لمشاعر ذلك العبد من ناحية ، والأحداث التي حدثت معه في هذه القصة من

---

٤١ - **يكبو** : يسقط على وجهه . (لسان العرب ، مادة كبا) .

٤٢ - **تسْفعه النّار** : أي تضرب وجهه ، وتسوّده ، وتؤثّر فيه أثـرًا سيّـئًـا . (**لسان العرب** ، مادة سفع) .

٤٣ – **يصريني منك** : أي ما الذي يرضيك ، ويقطع مسألتك عنّي ، ويمنعك من سؤالي ؟ ، وأصل التصرية : القطع والجمع، ومنه الشاة المصراة : وهى التي جمع لبنها وقطع حلبه . (**لسان العرب** ، مادة : صري) .

٤٤ – " **الأحاديث القدسية** " ، ج ٢ ، ح رقم ٣٤٦، ص ٣٩٩ ، و أخرجه مسلم .

ناحية أخرى ، فلا ينشغل عقلنا بمن هو ؟ وما منزلته عند الله ؟ **وأرى** أنّ هذا من باب العدل الربّانيّ ، فكما تحدث الله عزوجلّ - في أحاديث أخرى - مع الملـَـك، وتحدث مع بعض الأنبياء ، وكما تحدث مع عبد عُرِفَ بين البشر بِذِكـر اسمه في الحديث (٤٥) ، تحدّث هنا مع أحد العامة ، و كما تحدث مع الأعلى منزلةً تحدّث هنا مع الأدنى منزلةً .

ولتحليل هذا الحديث سوف أقوم بعرضه بطريقتين ، **الأولى** طريقة إجماليّة ، و**الثانيّة** تفصيليّة .

أمّا الإجماليّة ، ففيها عرض للمشهد الحواريّ الذي دار بين الله – **عزّ وجلّ** – وهذا العبد، وهو كالآتي :

البداية *بلقطة سرديّة* راويها الرّسول - **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - فيها مناجاة داخليّة ، أو حوار داخليّ في نفس **آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنّة دخولًا فيها** موجهًا كلامه في هذه المناجاة إلى النّار ممزوجًا بمدح الله - **عَزَّ وَجَلَّ** - ، فيقول :

" تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّاني مِنْكِ ، لَقَدْ أَعْطَاني اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ "

لقطة سرديّة : فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ .

آخر من دخلوا الجنّة : أَيْ رَبّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلأَسْتَظلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ منْ مَائهَا .

الله – عزّ و جلّ - : يَا بْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَني غَيْرَهَا .

آخر من دخلوا الجنّة : لاَ، يَا رَبِّ .

لقطة سرديّة : وَيُعَاهدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ – تَعَالَى – يَعْذُرُهُ ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه ، فَيُدْنيه منْهَا فَيَسْتَظلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ منْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى .

آخر من دخلوا الجنّة : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِني مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا .

الله – عزّ و جلّ - : يَا بْنَ آدَمَ ، أ لَمْ تُعَاهِدْني أَنْ لَا تَسْأَلَني غَيْرَهَا ؟ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُني غَيْرَهَا.

ردّ العبد : وقد تم حذفه هنا وتقديره : " بلى يا ربِّ ، ولن أسألك غيرها ."

لقطة سرديّة : وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَـيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَاب الْجَنَّةِ ، هىَ أَحْسَنُ مِنْ الْأَوَلَيْن.

آخر من دخلوا الجنّة : أَيْ رَبِّ ، أَدْنِني مِنْ الشَّجَرَةِ ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا .

الله – عزّ و جلّ - : يَا بْنَ آدَمَ ، أَ لَمْ تُعَاهِدْني أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟

---

[٤٥] - حين تحدّث مع جَابِرِ بنْ عَبْدِ اللهِ – رَضِى اللهُ عَنْهُمَا – ، " **الأحاديث القدسية** " ، **ج١** ، ح رقم ١٨٣، ص ١٩٦ .

آخر من دخلوا الجنّة : بَلَى، يَا رَبِّ ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا .

لقطة سرديّة : وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ ، فَيُدْنِيهِ منْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ منْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْل الْجَنَّة .

آخر من دخلوا الجنّة : أَيْ رَبِّ ، أَدْخلْنيهَا .

الله – عزّ و جلّ - : يَا ابْنَ آدَمَ ، مَا يَصْرِيني منْكَ ؟ أَ يُرْضيكَ أَنْ أُعْطيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟

آخر من دخلوا الجنّة : أَيْ رَبِّ ، أَ تَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَ أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟

لقطة سرديّة وصفيّة : يضحك ربّ العالمين .

الله – عزّ و جلّ - : إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلكِّني عَلى مَا أَشَاءُ قَادرٌ.

أمّا تفصيلًا ، فقد بدأ الحديث **بمقدمة سرديّة** ممهِّدة ومشوّقة وخاطفة للألباب والعقول تعرض – في وصف نبويّ رائع - مشهدًا مهيبًا : رجلٌ يمرّ فوق الصّراط ، والنّار تحت الصّراط تزفر وتزمجر، وهو يمشي على الصّراط مرّة ، ويسقط عليه مرّة ، وتسفعه النّار مرة وتصل إليه وتصيبه بعد أن تطاله مرة ثالثة ، وبعد هذا الرّعب و الهلاك المُحقَّق تأتي أول مفاجأة فينجّيه الله **– عزّ وجلّ –** بعد أن كان هذا الرّجل قد فقد الأمل في النّجاة ، مصداقًا لقوله **– عزّ وجلّ -** : **(فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ)** (٤٦) ، فهذا حقًا هو الفوز العظيم ، فينظر إلى النّار من خلفه ومشاعره تمتزج فيها السعادة الشديدة والرّضا بالفخر بما ناله من الله **– عزّ وجلّ -**، فالسّعادة تظهر في قوله : **" تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ "** فهو يعظّم الله **– عزّ وجلّ –** وهذا التّعظيم دليل على شدّة سعادته ، ثم يوجّه خطابه في حوار داخليّ – مونولوج - إلى النّار قائلًا **" ... نجّاني منكِ ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ "** ، ونلاحظ الانتقال الفُجائيّ لهذا العبد المسكين من مشاعر السّعادة بسبب شيء لم يكن يتوقّع أن يناله إلى مشاعر مفتخرٍ بما عنده من النّعيم أي أنّ هذا النّعيم متمكن منه للحد الذي يجعله يفتخر بما لديْه وهذا الشعور في حد ذاته جزءٌ من نعيم الله على الفائز بالجنّة ، وتتضح لنا مشاعر الفخر هذه من قوله : **" لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ "** وهنا علامة استفهام كبيرة **!** فكيف لآخر شخصٍ يدخل الجنّة أن يقول : أعطاني الله شيئًا لم يعطِه لأحد من الأوّلين والآخرين ؟**!!** فلو كان هذا قول آخر شخص ، فـــماذا قـــال أول من دخلها ؟**!!** ويفسّر هذا مدى سعادة هذا العبد المسكين .

وبينما هو في هذه الحالة التي جعلته يعبّر بما هو غير مناسب للموقف ، انتقل الحديث من المقدّمة إلى لقطة سرديّة فيها : **" فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ "** هذه الشجرة ليست من غرس إنسان ، بل من غرس ربّ البريّة ، هذه الشجرة رغم أنها رُفعت له على بُعْدِ أمتارٍ من باب الجنّة ، فإنّ لها نفس أوصاف شجر الجنّة ، وهذه المفاجأة الثانية بعد مفاجأة نجاة العبد .

٤٦- سورة آل عمران ، آية ١٨٥ .

ثم يطمع العبد في كرم المِلك الكريم فينتقل الحديث إلى **لقطة حواريّة** صدرت منه حين قال : **" أَيْ رَبّ ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا "** ، أي قرّبني من هذه الشجرة التي رُفعَت ، وبدأ طلبه **بنداء** خرج عن غرضه الحقيقيّ إلى آخر بلاغيّ وهو الالتماس والدّعاء ، ثم ذكر العبد لماذا يريد الاقتراب من هذه الشجرة وقال : ليستظلّ بظلّها ويشرب من مائها ، ومن المعروف أن للشجرة ظلًا يتمنّاه الإنسان إذا كان متعبًا ، وهذا يدل على حال العبد في نهاية رحلة سيره على الصراط ، ومما ذكر في وصف هذا الظلّ قول رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - : " إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة " (٤٧) مصداقًا لقوله - تعالى - : (وظلٍ ممدود) (٤٨) ، والظّل صفة طبيعيّة للشجر ، أمّا الماء ، فهل للشجرة ماء يُشرب منه ؟! والإجابة نلمسها في أوصاف شجر الجنة حين ذكر الرّسول – **صلّى الله عليه وسلّم** – قوله: **"** و إِذَا شَجَرَةٌ علَى بَابِ الجَنّةِ يَنْبُعُ مِنْ أَصْلِهَا عَينَان ، فإِذَا شَرِبُوا مِن إِحْداهَا جَرتْ في وجُوهِهِم نَضْرةَ النّعِيم ، وإِذَا تَوضّأوا مِنَ الأُخْرى لَم تشْعَث أشعارُهُم (٤٩) أَبَدًا **"** .

وقد جاء في شرح هذا الحديث الشّريف " إنّ عند باب الجنّة شجرة عظيمة ينبع من أصلها عينان، قد خُصِّصَت إحداهما لشراب الدّاخلين ، وثانيتهما لتطهيرهم ، فإذا شربوا من الأولى جرت في وجوههم نضرة النّعيم ، فلا يبأسوا أبدًا ، وإذا اغتسلوا من الثانية لم تشعث أشعارهم أبدًا ، وفي القرآن الكريم مصداق هذا قوله – **تعالى - : (وسقاهم ربّهم شرابًا طهورًا) (٥٠) "** **(٥١)** .

ثمّ يأتي الرّدّ من **الله – عزّ و جلّ –** على طلب العبد في قوله **: " يَا ابْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا ."** الذي نستشفّ منه الموافقة الضمنيّة على طلب العبد، فهو **– تعالى –** لم يرفض بل طلب العهود والمواثيق بشكل غير مباشر أيضًا عن طريق أسلوب التّرجّي مع الشرط ، وهذا أملح وأطيب من الموافقة المباشرة لو قال الله **– عز وجلّ -** : " سأعطيك ماطلبتَ " ، وقد طلب هذه العهود لِئَلّا يتكرر طلب العبد مرة أخرى، فهذه الجملة بمنزلة الموافقة المشروطة .

وقد بدأ بقوله : **" يا بن آدم "** ، ولنا هنا **وقفة تأمّليّة** ، فقد ورد قوله : **" ابن آدم "** سواء في أسلوب **النّداء** ، أو في غيره ، وسواء في الأحاديث التي بها ظاهرة الحوار، أو في غيرها في سبعة عشر موضعًا ، وكان المقصود في أغلبها الإنسان بشكل عام ، وليس شخصًا بعينه ؛ كقوله - على سبيل المثال لا الحصر- : **" يا بنَ آدم، تفرّغ لعبادتي ، أملأ صدرَكَ غنًى ، ...."**

---

٤٧ - وفي رواية : " الراكبُ الجوادَ المُضَمَّر السريعَ مائة عام ما يقطعها ." **ومعنى المُضَمّر صفة للفرس الذي اشتدّ جريه.** الإمام : أبو زكريّا يحيى بن شرف النّووي ، **" رياض الصّالحين من كتاب سيّد المرسلين "** ، تحقيق : أسامة بن عبد الفتّاح البطة ، نشر: دار التقوى ، **حديث رقم ١٨٩٥ ، ص ٥٧٣ ، باب " بيان ما أعدّ الله تعالى للمؤمنين قي الجنة " ، وقد ذكر الحديث في الصحيحين .**

٤٨ - سورة **" الواقعة "** ، آية ٣٠ .

٤٩ - **شَعِثَ الشّعر**: تغبّر وتلبّد لقلّة تعهّده بالدهن ، ورعايته بالتمشيط والتنظيف ، (لسان العرب ، مادة شعث) .

٥٠ – سورة **الإنسان** ، آية ٢١ .

٥١ – قال الحافظ المنذريّ : " رواه ابن أبي الدّنيا والبيهقيّ ، وغيرهما عن عاصم بن حمزة عن عليّ موقوفًا عليه بنحوه ، وهو أصح وأشهر " ، **الترغيب والترهيب** (٤ – ٤٩٤ ، ٤٩٦) ، الناشر : المكتبة القيّمة .

([٥٢]) ، وقوله : **" ابنَ آدم ، اِركع لي مِن أوّل النّهار أربع ركعاتٍ، .... "** ([٥٣]) ، وقوله : **" يا بنَ آدم ، مرِضتُ فلم تعُدْني قال يا ربّ : وكيف أعــودُكَ وأنتَ ربّ العالمين ؟! ...."** ([٥٤]) ، وقوله : **" كـــــذّبني ابنُ آدم ، ولم يكن له ذلك ... "** ([٥٥]) ، إلّا في موضعين فالمقصود من قوله " ابن آدم" مخاطبٌ بعينه – لم ينادَ باسمه -، وليس الإنسان بشكل عام – كما سبق - ، هذان الموضعان : أحدهما هذا الحديث بروايتين من رواياته – وأعـُدّ الروايتين موضعًا واحدًا – حين قال: " يا بن آدم ، لعلّي ..." ويـَقصِد آخر من دخلوا الجنّة ، أمّا الموضع الثّاني : في قوله لواحدٍ من أهل الجنّة : **" يا بنَ آدم ، كيف وجدت منزلكَ ؟ فيقول: أي ربّ خيرُ منزلٍ ،.."** ([٥٦])

وترى الباحثة أنّ هذا التباين بين اللفظ والمعنى - فاللفظ يُراد به العام ، والمعنى يُراد به الخاص أو التخصيص - للفت النّظر إلى أمرين في غاية الأهميّة؛ **أوّلهما** : تمييز المخاطب بهذه المنزلة المختلفة أقصد الخصوصية غير المُعلنة و المكنونة بين الله والمخاطب ، وهذه تعدّ إحدى النّعم ، **وثانيهما** : أنّه **– تعالى –** نادى الخاص بنداء العام لإلحاق صفات الخاص بالعام وتعميمها على كل بني آدم ، ومن هذه الصّفات تطلّع ابن آدم دائمًا للأفضل ، فإذا سأل الله شيئا ، وأعطاه إياه ، عاد وسأل الله الأحسن منه ، وهكذا، وإذا نظرنا إلى حالنا في الدّنيا وجدناه هكذا أيضًا فهذا مما جبلنا الله **– تعالى –** عليه ، وهذا يظهر من قوله : **" لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلَتَني غَيْرَهَا" .**

ثم يأتي **الردّ** من العبد مقدمًا العهود والمواثيق بقوله : **" لاَ، يَا رَبِّ "** وفي رواية : **" لا أســالك غيره "** ([٥٧]) ، وعادة ما تكون الإجابة "بنعم" ، أو "لا" حينما يبدأ السؤال **"بهــل"** أو " أ "، لكن هنا لم ترد في السؤال أداة استفهام تسأل عن الإثبات أو النّفي ، لكن ماورد فيما سبق الإجابة هو جملة تلبس ثوب السؤال تبدأ " بلعلّ " ، ولعل في أصلها للترجّي وهو إمّا التوقّع للمحبوب ، أو الإشفاق في المكروه **([٥٨])** ، وهي هنا خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى الاستفهام بمعنى هل والمقدّر **" هل إن أعطيتكها سألتني غيرها ؟ "**، وقد عزّز هذا التقدير ما ورد في ذات الموضع في الرواية الثانية وهو قوله: **" فهل عسيتُ إن فعلتُ ذلك بكَ أن تسألني غيرَه ؟"([٥٩])** ، فقد جاءت هل في السؤال ، ثمّ جاءت الإجابة بلا ، والمعنى لن أسأل غيرها يا ربّ.

---

[٥٢] – " **الأحاديث القدسية** " ، ج١ ، ح رقم ١١ ، ص ٢٥ .

[٥٣] – **السّابق** ، ج١ ، ح رقم ١٣٤ ، ص ١٥٢ .

[٥٤] – **السّابق** ، ج١ ، ح رقم ٢٦٥ ، ص ٢٦٣ .

[٥٥] – **السّابق** ، ج١ ، ح رقم ١٩ ، ص ٣٣ .

[٥٦] – **السّابق** ، ج١ ، ح رقم ١٨٨، ص ٢٠٠ .

[٥٧] – " **الأحاديث القدسية** " ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٧٨ .

[٥٨] – توقّع أمر محبوب مثل : " لعلّه يتذكّر أو يخشى " طه – آية ٤٤ ، وإشفاق من مكروه مثل " لعلّ الساعة قريب " الشورى آية ١٧ .

[٥٩] – **السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٨٠ .

ثمّ تلا ماسبق ***لقطة سرديّة*** هي قوله : **" وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا"** وفي رواية: **" ويعطي ربَّـه من عهودٍ ومواثيقَ ما شاء الله "**([٦٠]) ولم يذكر لنا الحديث ما هي العهود والمواثيق التي قدّمها العبد ليثبت لله - **عزّ وجلّ –** أنه لن يطلب شيئا بعد الشجرة الأولى التي طلب أن يقربه الله منها ، ثم استجاب الله **– عزّ وجلّ –** في عبارة في غاية الروعة حين قال : **" وَرَبُّهُ – تَعَالَى – يَعْذُرُهُ "** وهذه إشارة لنا لنتعلّم أهميّة التماس الأعذار للآخرين حتى مع وجود العهود والمواثيق ، بل ويقدّم لنا أيضًا سبب أنّه يعذره في قوله: **" لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه"** ، فالله - **عز وجلّ** - يعرف متى لا يطيق الإنسانُ الصبرَ.

و سرعان ما تأتي نتيجة عذر الله لعبده التي بدأت بالفاء الدالة على سرعة تعاقب الأحداث في قوله : **" فَيُدْنيه منْهَا، فَيَسْتَظلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ منْ مَائِهَا "**؛ ليكون هذا تحقيقًا تامًّا لما طلبه العبد من ربّه ، ثُمَّ ننتقل إلى لقطة سرديّة أخرى تعقبها مع تراخٍ هي قوله : **" ثُمّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى "** تعتبر بداية لمرحلة أحداث جديدة وتصاعد الأحداث ، وجملة **" هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى "** تُحدِث ترابطًا بين أجزاء الحديث، هي تردّنا إلى الرّجوع إلى بداية الحديث لتذكّر صفات الشجرة الأولى ومن ثـــمَّ المفاضلة بين الأولى والثانية .

وإذا نظرنا بتأمّل إلى هذا الحديث وجدنا أنّه ليس مشهدًا حواريًا واحدًا ، بل هو أربعة مشاهد ؛ ثلاثة منها متكررة ومتقاربة ، والاختلاف بينها اختلاف يسير، يعقبها مشهد رابع ختاميّ ، واللقطة السّرديّة السابقة تُعد خاتمة المشهد الأول وينبثق منها مقدمة المشهد الثاني ، فالمشاهد الثلاثة الأولى تتكوّن من نفس الأجزاء وعددها خمسة ؛ حيث يتكوّن كل مشهد من مقدّمة سرديّة للمشهد ، يعقبها نداء العبد وطلبه، يعقبه ردّ الله – عزّ، وجلّ - ، يعقبه ردّ العبد ، ثم ختام سرديّ ، فنجد :

١. المقدّمة السّرديّة لكل مشهد :

- في المشهد الأوّل : قال : " فترفع له شجرة "
- في المشهد الثّاني : قال : " ثمّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى "
- في المشهد الثّالث : قال : " ثمّ ترفع له شجرة هي أحسن من الأوليين "

وإذا رجعنا إلى المقدّمة السّرديّة العامة التي في بداية الحديث خاصة قوله :

" آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً" وجدنا أنّه ذكر حال العبد ثلاث مرات في ثلاث حالات مختلفة ، ويقابل هذه الحالات الحديث عن ثلاث شجرات، **وأرى أنّ** المقصود من هذا أنّه كما تدرّج في المشقّة على العبد من الصعب إلى الأصعب وقت سيره على الصراط ، تدرّج أيضًا في التعويض للعبد من الحسن إلى الأحسن بعد نجاته ، وذِكر ثلاث حالات للعبد يقابلها ثلاث شجرات ، وثلاثة مشاهد حواريّة صغيرة متشابهة يدل على دقة الحبكة والصّياغة التي لا نصل إليها إلّا بالتأمّل الشديد .

---

[٦٠] – **السّابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٨٠ .

٢. نداء العبد وطلبه من الله – عزّ وجلّ - :

- في المشهد الأوّل : قال : " أي ربِّ ، أدنني من هذه الشجرة ، فلأستظلّ بظلّها ، وأشرب من مائها " .
- في المشهد الثّاني : قال : " أي ربِّ ، أدنني من هذه الشجرة ، لأشرب من مائها، وأستظلّ بظلّها ، لا أسألك غيرها " .
- في المشهد الثّالث : قال : " أي ربِّ ، أدنني من هذه الشجرة لأستظلّ بظلّها، واشرب من مائها ، لا أسألك غيرها " .

وكما نلاحظ هنا **التّكرار** الجليّ الذي لم يأتِ في المضمون فقط ، بل أتي أيضا في تقسيم الجملة ، ففي المشاهد الثلاثة بدأ قول العبد **بنداء** خرج عن معناه الحقيقيّ إلى آخر بلاغيّ وهو الالتماس والدّعاء ، ثم طلب وهو قوله : " أدنني .. "، ثم ذِكْر سبب الطلب وهو واحد لم يتغيّر في المضمون ، لكن تغيّر من حيث التقديم والتأخير ؛ ففي المرة الأولى والثالثة - حين ذكر العبدُ السببَ – بدأ بقوله : " **لأستظلّ بظلّها** " وثنّى بقوله : " **لأشربَ من مائها** " ، أمّا في المرة الثانية فبدأ بذكر الماء أوّلًا ، ثمّ ذِكر الظّلّ ، **وأرى أنّ** تقديم الظلّ في المرتين الأولى والثالثة ، وتقديم الماء في المرة الثانية للفت النظر إلى أنّ المقدَّم يكمن فيه وجه الحسن لأنه استخدم لفظ " أحسن " ؛ فالعبد يبدأ بما يعجّل مسرّة نفسه ، وبما يسرق نظره .

٣. ردّ الله على دعاء العبد ، وطلبه :

- في المشهد الأوّل : قال : " يَا بْنَ آدَمَ ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا."
- في المشهد الثّاني : قال : " يَا بْنَ آدَمَ ، أَ لَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟ لعَلِّي إِنْ أَدْنَيتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُني غَيْرَهَا.
- في المشهد الثّالث : قال : " يَا بْنَ آدَمَ ، أَ لمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا ؟

وأبرز ما في هذه اللقطة بعد النّداء ، الاستفهام المتكرر الذي خرج عن معناه الحقيقيّ إلى معنى **الاستفهام الإنكاري** الصادر من الله **– عز وجلّ -** .

٤. ردّ العبد ، وتأكيده - عن طريق **التكرار**- أنّه لن يطلب شيئًا آخر :

- في المشهد الأوّل : قال : " لاَ، يَا رَبِّ "
- في المشهد الثّاني : يوجد حذف تقديره : " بَلَى، يَا رَبِّ ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا"، وقد فهم من السّياق والقرائن ؛ وذلك لإعمال العقل والتّدبّر.
- في المشهد الثّالث : قال : " بَلَى، يَا رَبِّ ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا "

وهذا التكرار يبيّن ضعف الإنسان وقصوره ، حتى أنّه يعجز عن الثبات على العهد أمام مايرى من نعيم يتجدّد .

٥. لقطة سرديّة ختاميّة للمشهد:

- في المشهد الأوّل : قال : " وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ – تَعَالَى – يَعْذُرُهُ ؛ لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه، فَيُدْنيه منْهَا فَيَسْتَظلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ منْ مَائِهَا" .
- في المشهد الثّاني : قال : " وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا " .
- في المشهد الثّالث : قال : " وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا "، وأبرز ما في هذه اللقطة هو **التكرار** ، وهذا التكرار يهزّ عواطف المتلقّي هزة قويّة بسبب شعوره بمدى تحبّب الله له ، و تقرّبه من عبده المناجي له .

ويقابل **الحالة الرّابعة** للعبد وهي نجاته من النّار المشهد الحواريّ الرّابع الذي يتكوّن أيضًا من نفس الأجزاء الخمسة التي وردت في المشاهد الحواريّة الثلاثة السابقة لكن مع اختلاف الجمل كما سيتضح .

المشهد الختاميّ والرّابع :

١. **المقدمة السرديّة للمشهد** قوله : " فَإِذَا أَدْنَاهُ منْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْل الْجَنَّة .

٢. **نداء العبد وطلبه** قوله : " أَيْ رَبِّ ، أَدْخلْنيهَا " .

٣. **ردّ الله – عز وجل - على دعاء العبد** قوله : " يَا بْنَ آدَمَ ، مَا يَصْرِيني منْكَ ؟ أَ يُرْضيكَ أَنْ أُعْطيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟

٤. **ردّ العبد ، قوله : "** أَيْ رَبِّ ، أَ تَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَ أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟!

٥. **لقطة ختاميّة سرديّة :** يضحك ربّ العالمين ، **وهو يقول :** إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلكِّني عَلى مَا أَشَاءُ قَادر.

في المشهد الختاميّ السابق وردت عدة أشياء تلفت النّظر إليها ، منها : استعمال كلمتي " يسمع " و" أصوات " في **المقدّمة السّرديّة** ينتقل بالصورة من الخيال إلى الحقيقة عند المتلقّي ، ويجعل المتلقي يشعر أنّه حقًا أمام الجنّة ويستأذن في الدخول ، أمّا في **نداء العبد** ، وطلبه فنجد أن العبد قد نسي عهده مع الله للمرة الرّابعة ، لكنّه هذه المرة يطلب دخول الجنّة ، ونجد أنّ الله – عز وجلّ – لم يجب برفض أو موافقة صريحة على طلبه ، فكان ردّ الله عليه بسؤالين الأوّل **" مَا يَصْرِيني منْكَ ؟ "** أي : ما الذي يرضيك ، ويقطع مسألتك فلا تسألني مرة أخرى ؟ وسرعان ما أردفه بسؤال آخر، وهو **" أَ يُرْضيكَ أَنْ أُعْطيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا ؟ "** ، وكلا الاستفهامين خرجا عن غرضهما الحقيقيّ إلى آخر بلاغيّ ، وهو " إظهار الله **- عز وجلّ -** لكرمه مع عباده ، وحسن معاملته لهم رغم عصيانهم له وجحودهم بنعمه التي لا تعدّ ولا تُحصى " ، وهذا يعد موافقة ضمنيّه على طلب العبد ، ثمّ نجد **ردّ العبد** على الاستفهامين السّابقين أيضًا باستفهام غرضه البلاغيّ التّعجّب ، والدهشة ، والحيرة ، والفرحة التي أخذت

بعقله ، فقال لله – **عزّ وجلّ** - : " **أَ تَسـتْهَزِئُ مِنِّي وَ أَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ؟!** " ، ويبدو لنا أنّ هذا الرّجل غير ضابط لما قاله ، من أجل ما ناله من السرور ، ببلوغ ما لم يخطر بباله ، فلم يضبط لسانه من فرط دهشته ، وفرحته .

وفي **رواية ثانية** ([٦١]):

المشهد الحواريّ فيها كالآتي :

مقدمة سرديّة طويلة ([٦٢]).

آخر من دخلوا الجنّة : أي ربّ ، اصرِف وجهي عن النّار ؛ فإنّه قد قـَـشَبَني ([٦٣]) ريحُها ، وأحرقني ذكاؤها ([٦٤]) .

لقطة سرديّة : فيدعوا اللهَ ما شاء اللهُ أن يدعُوَهُ .

الله – تبارك وتعالى - : هل عسيتُ إن فعـلتُ ذلك بكَ أن تسألَني غيرَه ؟

آخر من دخلوا الجنّة : لا أسألُــكَ غيرَه .

لقطة سرديّة : ويعطي ربَّه من عهودٍ ومواثيقَ ما شاء اللهُ ، فيصرفُ اللهُ وجهَه عن النّار، فإذا أقبل على الجنّة ورآها ، سكت ما شاء اللهُ أن يسكتَ .

آخر من دخلوا الجنّة : أي ربِّ ، قدّمني إلى باب الجنّة .

الله – تبارك وتعالى - : أ ليس قد أعطيتَ عهودَكَ ومواثيقَك لا تسألُني غيرَ الذي أعطيتُك ؟ ويلك يا ابنَ آدم ، ما أغدرَكَ !

آخر من دخلوا الجنّة : أي ربِّ .

لقطة سرديّة: ويدعـو اللهَ .

الله – تبارك وتعالى - : فهل عسيتَ إن أعطيتُــكَ ذلكَ أن تسألَ غيرَهُ ؟

آخر من دخلوا الجنّة : لا ، وعِزّتِكَ .

---

[٦١] – " **الأحاديث القدسية** " ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٧٨ ، و موضع الشاهد يبدأ من قوله : " **أي ربِّ ، اصرف وجهي عن النار** ... " ص ٣٧٩ .

[٦٢] – لم يتسع المقام لذكرها هنا ، **المصدر السابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٧٨ . **بداية الحديث :** " عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أُخبِر أنّ أُناسًا قالوا لرسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – : **يا رسول الله : هل نرى ربّنا يوم القيامة ؟** ....."، فأجاب الرّسول عن هذا السؤال ، ثمّ بدأ في سرد مجموعة من الأحداث الغيبيّة التي ستحدث يوم القيامة منها بعد رؤية الله عز وجل ، انقسام الناس إلى أكثر من فريق كل حسب ما كان يعبد ، ووصف الصّراط ، ووصف حال المارّين على الصّراط إلى أن يصل في سرده إلى توضيح حال آخر من يدخل الجنّة – وهو موضع الشّاهد – .

[٦٣] – **قَشَبَني ريحها** ، أي : آذاني ريحها . (لسان العرب ، مادة : قشب) .

[٦٤] – **الذّكاء** : شِدّة وَهَجِ النّار . (لسان العرب ، مادة : ذكا) .

لقطة سرديّة: فيُعطي ربَّه ما شاء من عهودٍ ومواثيقَ ، فيُقَدّمُهُ إلى باب الجنّةِ ، فإذا قام على باب الجنّة انـفقهت ([٦٥]) له الجنّةُ ، فرأى ما فيها من الخير والسّرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت .

آخر من دخلوا الجنّة : أي ربِّ ، ادخلني الجنّةَ .

الله – تبارك وتعالى - : أ ليس قد أعطيتَ عهودَكَ ومواثيقكَ ألّا تسألَ غير ما أعطيتُ ؟ ويلكَ يا بنَ آدمَ ، ما أغدركَ !

آخر من دخلوا الجنّة : أي ربِّ ، لا أكونُ أشقى خلقِكَ .

لقطة سرديّة: فلا يزال يدعـو اللهَ حتى يضحكَ اللهُ – عزّ وجلّ – منه ، فإذا ضحك اللهُ منهُ ، قال ..

الله – تبارك وتعالى - : أُدخُلِ الجنّةَ .

لقطة سرديّة: فإذا دخلها .

الله – تبارك وتعالى - : تَمَنَّهْ .

لقطة سرديّة: فيسألُ ربَّهُ ويتمنّى ، حتّى إنّ اللهَ لَيُذَكّرُهُ من كذا وكذا ، حتّى إذا انقطعت به الأمانيُّ ..

الله – تبارك وتعالى - : ذلكَ لكَ ومثلُهُ معهُ . وقيل في رواية " وعشرة أمثالِهِ معه " ([٦٦])

وفي رواية ثالثة ([٦٧]) :

عن عبدِ الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله – صلّى الله عليه وسلّم- : " **إنِّي لَأعلمُ آخرَ أهلِ النّارِ خُروجًا مِنها ، وآخرَ أهلِ الجنّةِ دخولًا الجنّةَ : رجُلٌ يَخْرُجُ منَ النّارِ حَبْوًا ، فيقولُ اللهُ – تبارك وتعالى – له : اِذهبْ ، فادخُل الجَنّةَ ، قالَ : فَيَأتِيهَا، فيُخيّل إليه أنّها مَلْأى ، فيرجع ، فيقول : يا ربِّ ، وَجَدتُها مَلْأَى ، فيقولُ اللهُ له : اذهبْ ، فادخُل الجنّةَ ، فإنّ لكَ مثلَ الدّنيا وعَشرةَ أمثالِها ، – أو إنّ لك عشرةَ أمثالِ الدّنيا – ، قال: فيقول : أ تسْخرُ بي – أو أ تضحكُ بي – ، وأنت المَلِكُ قال : لقد رأيتُ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – ضحِكَ ، حتّى بدتْ نواجِذُهُ ([٦٨])، قال : فكان يقالُ: ذاك أدْنَى أهلِ الجنَّة منزِلَةً .**"

---

[٦٥] – أي : انفتحت ، واتّسعت .

[٦٦] – " **الأحاديث القدسية** " ، ج٢ ، ص ٣٨١ .

[٦٧] – **السّابق ، ج٢** ، ح رقم ٣٤٤ ، ص ٣٩٦ .

[٦٨] – **النّواجذ :** الأضراس التي تلي الأنياب ، أو الأنياب ، ومن أقوال العرب : بدت نواجذه إذا أظهرها غضبًا أو ضحكًا . (لسان العرب والمحيط ، مادة : "ن ج ذ ")

إذا تخيّلنا كل أركان المشهد القصصيّ – بالنّظر إلى أكثر من رواية – وجدناه كالآتي :

مقدّمة : إِنِّي لَأعلمُ آخرَ أهلِ النّارِ خُروجًا مِنها ، وآخرَ أهلِ الجنّةِ دخولًا الجنّةَ : رجُلٌ يَخْرُجُ منَ النّارِ حَبْوًا .

الله – عزّ و جلّ - : اِذهبْ ، فادخُل الجَنّةَ .

لقطة سرديّة : فَيَأتِيهَا، فيُخيّل إليه أنّها مَلْأى.

آخر من خرج من النّار : يا ربِّ ، وَجَدتُها مَلْأَى.

الله – عزّ و جلّ - : اذهبْ ، فادخُـل الجنّةَ ، فإنّ لكَ مثـلَ الدّنيا وعَشرةَ أمثالِها .

آخر من خرج من النّار : أ تسْخرُ بي – أو أ تضحكُ بي - ، و أنت المَلِكُ **!؟ (٦٩)**

الله – عزّ و جلّ - : إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلكِّني عَلى مَا أَشَاءُ قَادرٌ.**(٧٠)**

وكما نرى هذا الحديث الشريف يحكي **مشهدًا وصفيًا** لحال آخر أهل النّار خروجًا منها حينما يأمره الله **– عزّ وجلّ –** بدخول الجنّة ، فيأتيها ، فيُخيّل إليه أنّها ملأى ، فيرجـــع، ويذكر ذلك لربّه **– تعالى -** ، فيأمره مرة أخرى بدخول الجنّة ، ويبشّره بما له فيها من النّعيم الذي يدهش العقل والفكر حين قال : **" فإنّ لكَ مثـلَ الدّنيا وعَشرةَ أمثالِها "** ، وهنا صورة تشبيهيّة بديعة إذ شبّه ما لهذا الرّجل في الجنّة من النّعيم بمثل الدّنيا وعشرة أمثالها ، ووجه الشّبه العِظم والضخامة في كلٍ ، والغرض من التشبيه بيان مقدار حال المشبّه .

ونجد - بعد التأمل في الحديث برواياته – أنّ عدة **ظواهر بلاغية** ظهرت فيه جليّة تآزرت مع **عناصر القصّ** ليخرج لنا هذا المشهد الرّائع ، **كالتكرار ، والحذف ، والتّبادل والمزج بين الأساليب الخبريّة والإنشائيّة ؛ فالتكرار** كتكرار المشاهد ومن ثَمّ تكرار الجمل التي قيلت في المشاهد المتشابهة كتكرار الاستفهام ، وتكرار النّداء .

و **الحذف** الذي ورد مرة في المشهد الثاني في ردّ العبد حينما قال الله -عزّ جلّ - له : **" يَا بْنَ آدَمَ، أَ لَمْ تُعَاهِدْني أَنْ لَا تَسْأَلَني غَيْرَهَا ؟ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُني غَيْرَهَا."** ؛ إذ أنّه لم يجب ، وجوابه محذوف تقديره : **" بلى يا ربّ "** في الرواية الأولى، والمرة الثانية للحذف وردت في الرواية الثالثة حين قال العبد لله – عزوجل - : **" أ تسْخرُ بي – أو أ تضحكُ بي - ، و أنت المَلِكُ !؟ "(٧١)** ، فقد انتهى سرد المشهد عند كلام العبد ، ولم يرد فيها ردّ الله -عز

---

٦٩ – في هذه الرّواية ، انتهى سرد المشهد عند كلام العبد ، ولم يرد فيها ردّ الله عز وجلّ ، " **الأحاديث القدسية** " ، **ج ٢** ، ح رقم ٣٤٤ ، ص ٣٩٦ .

٧٠ – هذا الرّد من الله – عز وجل – في رواية أخرى : **المصدر السّابق ، ج ٢** ، ح رقم ٣٤٦ ، ص ٤٠٠ .

٧١ – " **الأحاديث القدسية** " ، **ج٢** ، ح رقم ٣٤٤ ، ص ٣٩٦ .

وجل- ، وقد فهمناه وقدّرناه من رواية أخرى حين قال الله : " **إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ ، وَلكِّني عَلى مَا أَشَاءُ قَادرٌ.**" (٧٢)

أمّا ظاهرة **التبادل والمزج بين الأساليب الخبرية والإنشائية** ، فهي مما ظهر جليا في هذا الحديث، بل في الأحاديث القدسية كلها ، وهذه الظاهرة تعـــني : " **المغايرة بين الصّيغ على نحو تبادليّ ؛ بحيث يُبدأ بإحدى الصّيغ ، ثم يُعدَل عنها للأخرى ، ثم يـُرجَع إلى الأولى وهكذا ؛ وذلك بهدف الاســتحواذ على اهتمام المـُــــتلقّي** " (٧٣) ، ونلمسها في التبادل بين اللقطات السرديّة التي خلا منها الحوار ، واللقطات الحوارية التي تمتلئ بالأساليب الإنشائيّة من نداء واستفهام وترجٍ ، وقد تحقق من خلالها الاســتحواذ على اهتمام المـُــــتلقّي .

ومن حقّنا أن نتساءل ؛ فـماذا كان يفعل في الدنيا آخر رجل يخرج من النار ليدخل الجنة ؟ وما ذنوبه ؟ هل لها علاقة بالعقيدة من كفر ، وشرك ، ونفاق أصغر؟ وهل كان يشهد بأن محمدًا رسول الله ؟ لأن حديث الشفاعة فيه أن رسول الله - **صلى الله عليه وسلم** - سيشفع لرجل قال لا إله إلا الله فحسب ، وهل كان يصلي ويؤدي الزكاة والصوم والحج؟!

إنّ قصة آخر رجل يدخل الجنة مشهورة ، وثابتة في الصحيحين وفي غيرهما ، و لكن لم ترد تفاصيل بشأن عمل ذلك الرجل في الدنيا ، وذنوبه التى جعلته آخر أهل الجنة دخولا إليها، لكن المفهوم من مجموع الأحاديث أنه من أهل التوحيد، فالجنة لا يدخلُها مشرك أبدًا، كما أن النار لا يخلد فيها مؤمن ، والظاهر أن هذا الرجل كان من أهل الصلاة ، فقد جاء في حديث أبي هريرة أن آخر فئة تخرج من النار، بعد أن يفرغ الله من القضاء بين العباد، تعرفهم الملائكة بآثار السجود، وأن هذا الرجل منهم ، فقد روى البخاري و مسلم أنّ أَبَا هُرَيْرَةَ **– رضي الله عنه –** قَالَ :

" **قَالَ أُنَاسٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟** " إلى أن نصل إلى قوله : " **حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنْ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِـــبَادِهِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ فَيَعْـرِفُونَهُمْ بِعَلَامَةِ آثَارِ السُّجُودِ وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدْ اُمْتُحِشُوا** (٧٤) **فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ**

---

٧٢ – **السّابق ، ج٢** ، ح رقم ٣٤٦ ، ص ٤٠٠ .

٧٣ – د. حسن أحمد البنداري ، " **الأداء التّبادليّ في الشعر العربيّ المعاصر** " ، ط ١ ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ٢٠١٠ م ، ص ١٣ (بتصرّف) .

٧٤ – **امْتـُـحِـشَ** : أي : احترق وصار فحمًا. (لسان العرب مادة : محش) .

فَيَقُولُ يَا رَبِّ قَدْ قَشَبَنِي(٧٥) **رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا** (٧٦) **، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنْ النَّارِ»** (٧٧) ، وفي الحديث أيضًا :

" **وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنْ النَّار**".

ومفهوم أيضًا من الأحاديث أنّه كان ممن يصومون ، ويحجّون ؛ وذلك لقول أبي سعيدٍ الخدريّ **– رضي الله عنه –** قال : قال رسول الله – **صلّى الله عليه وسلّم** - : " **إذا خلَّص الله المؤمنين من النّار، وأمِنوا – فما مجادلةُ أحدِكم لِصاحِبِهِ في الحقّ يكونُ له في الدّنيا أشدَّ مجادلةً من المؤمنين لربّهم في إخوانِهم الذين أُدخِلوا النّارَ، قال يقولون : ربَّنا ، إخوانُنَا ، كانوا يُصلّون معَنا ، ويصومون معنا، ويَحجّون معنا ، فأدخلْتَهُم النّارَ ، فيقول : اِذهبوا ، فأخرجوا من عَرَفتُم منهم ، فيأتونهم فيعرفونهم بصورِهم ، لا تأكلُ النّار صورَهم ...إلخ** " (٧٨).

فهذا ما ورد بشأن أعماله الصالحة ، أمّا ذنوبه التي تسببت في دخوله النّار فقد احتفظ الله **– عزّ وجلّ –** لنفسه بعلمها ؛ لحكمة لا يعلمها إلا هو.

الخاتـــــــــــــمة

استهدفت هذه الدّراسة الكشف عن ظاهرة الحوار في الأحاديث القدسية ، وتناولتها من أحد جوانبــها ، وهو جانب حوار الله – عزّ وجل – مع أحد عباده من غير الرّسل والأنبياء ، وقد تنوّعت هذه الصورة الحواريّة إلى اثني عشر نموذجًا تم ذكرها ، وقد اخترت منها نموذجًا للعرض والتحليل الأدبي والبلاغيّ ، وقد وقع اختياري على نموذج حوار الله – عز وجل – مع آخر أهل النار خروجًا منها ليدخلَ الجنة ؛ وذلك لأن هذا الحديث يتسم بـاتساع مساحة الحوار

---

٧٥ - **قَشَبَني ريحها** ، أي : آذاني ريحها . (لسان العرب مادة : قشب) .
٧٦ - **الذّكاء** : شِدّة وَهَج النّار . (لسان العرب مادة : ذكا) .
٧٧ - **" الأحاديث القدسية "، ج٢** ، ح رقم ٣٣٩ ، ص ٣٧٨ .
٧٨ - **السّابق** ، ج٢ ، ح رقم ٣٤٩ ، ص ٤٠٨ .

فيه أكثر من غيره من النمـــــاذج ، وفي هذا التحليل تمّ تسليط الضّوء على الحوار الشّائق الذي دار بينهما ، وقد توصّلتُ إلى عدة نتائج منها :

أنّ الحوار ألبس معاني الحديث نوعًا من الحركة والحيوية جعلتنا نشعر بأننا ننتقل نقلًا حقيقيًّا إلى مسرح الأحداث ، وما كنا لنشعر بهذا لو كان الحديث قد سيق لنا في ثوب وصفيّ فحسب .

أنّ الحديث المختار لم يعتمد على الحوار فحسب ، بل اعتمد على اللقطات الوصفيّة السرديّة حينًـــــا ، واللقطات الحواريّة أحيانًا أخرى ، وقد تآزر مع كلّ ذلك بعض الأساليب البلاغيّة ؛ كالتكرار في مواضع ، والحذف في مواضع أخرى ، والمزج والتبادل بين الأساليب الخبريّة والإنشائيّة من نداء ، واستفهام ، وترجٍ ؛ ليتحقّق لنا من كل ما سبق الاستحواذ على اهتمام المتلقّي ، الشيء الذي نشعر به عند قراءتنا للأحاديث القدسيّة .

أن الحوار استطاع أن يصوّر لنا بدقة تحوّلات شخصية العبد بكل ما مرت بها من تغيّرات نفسيّة منذ بداية الحوار وحتى نهايته ، وقد تبدَّى لنا هذا من خلال ما صدر منه من كلام .

وختامًا ، فهذا قطر من بحر خضم ، نلمس فيه قبسًا من الذات العليّة ، وقبسًا من النبوّة في آن واحد.

قائمة المــصادر والمراجع

القرآن الكريم .

أوّلًا : كتب الأحاديث الشريفة ، وشروحها :

١. لجنة القرآن والسّنة في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، **" الأحاديث القدسيّة "** ، ط ٤ ، وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربيّة ، تم الإصدار في جزأين ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

٢. محمد منير الدمشقيّ الأزهريّ ، **" النفحات السلفيّة بشرح الأحاديث القدسيّة "** ، بيروت ، مؤسسة الزغبي ، سنة ١٩٧٨م .

٣. المنذريّ ، الإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القويّ المنذريّ ، ت ٦٥٦ه ، **" التّرغيب والترهيب من الحديث الشّريف "** ، النّاشر : المكتبة القيّمة .

٤. النّووي ، أبو زكريّا يحيى بن شرف النّووي ، **" رياض الصّالحين من كتاب سيّد المرسلين"**، تحقيق : أسامة بن عبد الفتّاح البطة ، نشر : دار التقوى .

ثانيًــا : كتب البلاغة ، والأدب ، والنّقد :

١. ابن الأثير ، أبو الفتح ضياء الدّين نصر الله بن محمّد بن محمّد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الموصليّ ، ت ٦٢٧هـ ، **" المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر "** ، تحقيق : محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، صيدا ، بيروت ، ط : المكتبة العصريّة .
٢. أمين الخولي ، **" فن القول "** ، القاهرة ، دار الكتب المصريّة ، ١٩٩٦م .
٣. حسن البنداري (دكتور) ، **" الأداء التّبادليّ في الشعر العربيّ المعـاصر "** ، ط ١ ، مكتبة الآداب ، سنة ٢٠١٠ م .
٤. خالد بن محمد المغامسي ، **" الحوار آدابه وتطبيقاته في التربية الإسلامية "** ، ط ١ ، الرياض ، مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ، ١٤٢٥هـ .
٥. رشدي أحمد عبد الله طعيمة ، و محمّد السّيد منّاع ،**" تعليم العربيّة والدّين بين العلم، والفن"**، القاهرة ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، سنة ٢٠٠١ م .
٦. علي الجارم ، و مصطفى أمين ، **" البلاغة الواضحة " (البيان و المعاني والبديع)** ، القاهرة ، ط : دار المعارف .
٧. القزوينيّ ، جلال الدّين بن عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين أبي محمد عبد الرّحمن القزويني ، ت ٧٣٩هـ ، **" الإيضاح في علوم البلاغة "** ، شرح وتعليق : د. محمد عبد المنعم خفاجي ، ط٣ ، نشر : المكتبة الأزهريّة للتراث ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

ثالثـًــا : المـــــــــعاجم :

١. أحمد مختار عمر (دكتور) ، **" معجم اللغة العربيّة المعاصرة "** ، ط : عالم الكتب .
٢. الأصفـــهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمّد المعروف بالرّاغب الأصفـــــهاني ، **" المـــفردات في غريب القرآن "** ، تحقيق وضبط : محمّد سيّد كيلاني ، مطبعة : مصطفى البابيّ الحلبيّ وأولاده بمصر.
٣. الجوهريّ ، إسماعيل بن حمّاد الجوهريّ ، **" الصّحاح في اللغة تاج اللغة وصحاح العربية "، تحقيق أحمد عبد الغفور، ط٣ ، دار العلم للملايين ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .**
٤. الزّمخشريّ ، الإمام جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ ، ت ٥٣٨ هـ ، **" أساس البلاغة "** ، تحقيق : الأستاذ عبد الرّحيم محمود ، بيروت ، لبنان ، دار المعرفة للطباعة والنّشر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م .
٥. ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا ، **" معجم مقاييس اللغة "** ، تحقيق : عبد السّلام محمّد هارون ، طبع و نشر : مكتب الإعلام الإسلاميّ .
٦. لجنة من مجمع اللغة العربيّة بجمهورية مصر العربية ، **" المعجم الوسيط "** ، طبعة : مكتبة الشروق الدّوليّة .
٧. محمد الزّميتي (المدير العام لقسم المعاجم وإحياء التراث – مجمع اللغة العربية – القاهرة) ،
" المعجم المفهرس لألفاظ الحديث القدسي " ، المعجم ملحق بمجلة " المنهل " العدد ٤٨٤ المجلد ٥٢ ، ربيع الآخر وجمادى الأولى – ١٤١١هـ - أكتوبر ونوفمبر ١٩٩٠م .

٨ . محمد فؤاد عبد الباقي ، **" المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم "** ، القاهرة ، دار الكتب المصريّة .

٩. **ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن جلال الدين أبي العز مكرم بن نجيب الدين المعروف بان منظور " لسان العرب "** ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، ومحمد أحمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلي ، ط : دار المعارف .

١٠. د. أ. ي. **وِنْسِنْك** (أستاذ العربية بجامعة لَيْدَن) ، **" المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبويّ الشريف "** ، المحقق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر : مكتبة بريل ، سنة النشر: ١٩٣٦م .

رابعًـــــــا : الرسائل العلميّة :

١. محمود السيد محمد أبو شلبي ، **" (أسلوب الحوار في صحيح الإمام مسلم) ، دراسة بلاغـية** ، رسالة دكتوراه ، بجامعة الأزهر، إشراف : أ. د. محمد إبراهيم عبد العزيز شادي ، ١٩٩٨ م ، ١٤١٨هـ .

خامـــــسًا : المجلات العلميّة :

١. **مجلة المجتمع** ، (الكويت ، العدد ١٦٣٤) .
٢. **مجلّة المنهل** ، العدد رقم ٤٨٤ لسنة ١٤١١هـ ، و١٩٩٠ م ، (عدد خاص بالأحاديث القدسية) .

Research Summary

This dialogue deals with the eloquence of the dialogue in the sacred ahaadeeth. The phenomenon of dialogue in the sacred hadiths is a clear phenomenon, and it has many images, and a variety of varied and complex, and it varies in view of the interlocutors in each dialogue scene; we find a range of conversations in which God - With one of the angels, and another community in which God - one with one of the angels - speaks with one of the angels, and a third with which God interacts with the non-wise, and the fourth with which one of God's worshipers, other than the prophets and messengers, Previously, after extrapolating the sacred conversations of the Holy Which was discussed by God - the Almighty - with one of his slaves other than the Apostles, found that this picture dialogue divided into twelve models, which was mentioned in the search, and was chosen one of the analysis is the image of the dialogue of God - the Almighty - with the last people of the fire out of them, There have been many rhetorical phenomena in this model that have come together with other narrative elements, most notably the dialogue, to emerge in the wonderful dress we see in the conversation.